﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦﴾ [الزخرف: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الآيـةُ تُنبّهُ على آفاتِ حُبِّ الدُّنْيا والاشتغالِ بها

وجْهُ تعلُّق هذا الكلام بما قبله التَّنبيه على آفات الدُّنيا، وذلك أنَّ من فاز بالمال والجاه؛ صار كالأعشى عن ذكر الله، ومن صار كذلك؛ صار من جلساء الشَّياطين الضّالِّين المضلِّين[1].

وكذلك لَمّا كان ما قرَّرَه القرآنُ في السِّباقِ من نعيم دنيويٍّ مُفْهِمًا غايةَ الرّاحةِ والسَّعادةِ لأهل الكفر والمعصية؛ بيَّن في هذه الآية أنَّهم في شقاء نفْسِيٍّ من شأنه أنْ يُعكِّرَ عليهم صَفْوَ ملاذِّ الحياةِ الدُّنيا، فإنَّ الله يُهيِّئُ للمخذول الكافر شيطانًا يصير قرينًا له، يُبْعِدُه عن الخير، ويُقرِّبُه من الشَّرِّ، ولَمّا ذكَر تعالى المتَّقين، وكانت التَّقوى تُحرِّكُهم لذكره سبحانه؛ ذكَر في هذه الآيةِ غفلة مَن يكفر بالرَّحمن عن ذكر الله.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَعۡشُ﴾: (عيش) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ظلام وقِلَّةِ وضوحٍ في الشَّيءِ، ثمَّ يُفرَّعُ عنه ما يُقارِبُه، من ذلك العِشاءُ، وهو أوَّلُ ظلامِ اللَّيلِ، ومنهُ: عَشَوْتُ إلى نارِه، ولا يكونُ ذلك إلّا أن تَخْبِطَ إليه في الظَّلام، ويُقال: رجالٌ عُشْوٌ، وهو الَّذي لا يُبْصِرُ باللَّيلِ، وهو بالنَّهارِ بصيرٌ، يُقال: عَشَى يَعْشِي عَشًى، والعَشواءُ من النّوقِ: الَّتي كأنَّها لا تُبْصِرُ أمامَها، فتَخْبِطُ كلَّ شيءٍ بيدَيها؛ قالوا: وإنَّما يكونُ ذلكَ من حِدَّةِ قلْبِها، والعَشا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 210.

مجازٌ عن التَّشويشِ وعدمِ التَّدبُّرِ، وليس أنَّ عينَه لم تنظُر في القرآنِ، وإنَّما بصيرتُه لم تتدبَّر القرآنَ[1].

2) ﴿نُقَيِّضْ﴾: القَيْضُ: قِشْرةُ البَيْضة العُلْيا اليابسة، وقيل: هي الَّتي خرَج فرْخُها، أو ماؤُها كلُّه، والمَقِيضُ موضِعُها، هذا هو أصلُ اللَّفْظة في الاستعمالِ، والمعنى المقصودُ هنا: الإتاحة وتهيئة شيء لملازمة شيء؛ لعملٍ حتّى يُتمَّه، ويُقال: قيَّضَ اللّٰهُ فلانًا لفلانٍ: جاءَه به، وأتاحَه له، وقيَّضَ اللّٰهُ لهُ قرينًا: هيَّأَهُ، وسبَّبَه مِن حيثُ لا يَحْتسِبُه، ويُستعملُ قيَّضَ في الخيرِ والشَّرِّ، وأصلُه هنا تشبيهٌ، أي: إنَّ هذا الشَّيطانَ صار مُحيطًا بالكافر العاشي عن ذكر الرَّحمن، ومستوليًا عليه، وسادًّا كلَّ المنافذ الواصلةِ إليه، كالقيض المحيط بالبيض والحافظِ له[2].

3) ﴿قَرِينٌ﴾: (قرن) أصلانِ صحيحانِ، أحدُهما يدلُّ على جمْعِ شيءٍ إلى شيءٍ، والآخَرُ شيءٌ يَنْتَأُ بقوَّةٍ وشِدَّةٍ، فمِن الأوَّلِ: قارنتُ بينَ الشَّيئين، والقِرانُ: الحبلُ يُقرَن به شيئانِ، والقَرَنُ الحبلُ أيضًا، ومنه القرينُ، وهوَ المُصاحِبُ، والقرينُ يكونُ في الخيرِ والشَّرِّ، والقرينُ صاحبُكَ الَّذي يُقارِنُك في كلِّ شيءٍ، وقرينُكَ: الَّذي يُقارِنُكَ، وجمعُه: قُرَناءُ، وفلانٌ قِرْنُ فلانٍ مِن الأحوالِ[3]، والمقصودُ المُصاحِبُ المُلازِمُ والمُقترِنُ والقريبُ بشدَّةٍ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يقولُ تعالى: ومَن يُعْرِضْ، ويتعامَ، ويتغافلْ عن القرآنِ وعبادةِ الرَّحمنِ؛ نُهيِّئْ، ونُيَسِّرْ له شيطانًا، لا ينفكُّ عن الوسوسة له والإغواءِ،

مَن وُسِّعَ عليه في دنياه؛ اشتغل في الأغلب عن ذِكْر الله

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (عشو)، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 379.

(2) ابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات: (قيض)، والبقاعي، نظم الدرر: 7/ 28، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 209.

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات: (قرن).

كقولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: 83]، فقد عدَل عن الرَّحْمة والهناء إلى العذابِ والشَّقاءِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ الوَصْلِ بالواو في: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾:

الضَّلالُ ينمو، ويتولَّدُ في النُّفوس، حتَّى يَصِيرَ طَبْعًا

الواوُ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ عاطفةٌ لِما بعدَها مِن معنى الآيةِ إلى آخرِ قوله تعالى: ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ على قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ﴾ [الزخرف: 30]؛ لأنَّ جملةَ: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾ [الزخرف: 30] وما بعدَها إلى هذه الجملةِ، حدَّثَتْ عن أقوالهم وعقائدهم، وآيةُ: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ وما بعدَها حدَّثَتْ عن الَّذي وراء أقوالِهم وعقائدِهم، وكأنَّ المُتلقِّي حينَ يعودُ بجملة: ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ وما بعدَها إلى هناكَ، ويقِفُ قليلًا يجدُ كلامَيْنِ كلامًا يُحدِّثُ عن الظّاهر، وكلامًا يُحدِّثُ عن الباطنِ، والكلامانِ في أمرٍ واحدٍ، هذا يتناولُه مِن جهةٍ، وهذا مِن جهةٍ أخرى، ومِثْلُ هذا مِمّا لا يجوزُ التَّهاونُ فيه، وهذا العطفُ يفيدُ أنَّ انصرافَهُم عن التَّدبُّر في الدَّعوة القرآنيَّة بقولهم: إنَّه سحر، وغير ذلك: كان سببًا لأنْ يُسخِّرَ اللّهُ شياطينَ لهُم؛ تُلازمُهم، فلا تزالُ تصرفُهم عن النَّظرِ في الحقِّ وأدلَّة الرُّشْدِ، وهو تسخيرٌ اقتضاه نظامُ تولُّدِ الفروعِ مِن أصولِها، فلا يُتعجَّبُ مِن عَمَى بصائرِهم عن إدراك الحقِّ المبين[1]، وهو مِن عطفِ جملةٍ مِن الجُمَل على جملةٍ مِن الجمل، يدخلُ في باب الوَصْلِ للتَّوسُّطِ بينَ الكمالَيْنِ.

دلالةُ أسلوب الشَّرْط:

الانصرافُ عن ذِكْرِ الرَّحمنِ يوجِبُ غضبَ الرَّبِّ سبحانه

هذه الآيةُ الكريمةُ جملةٌ معنويَّةٌ واحدةٌ، تكوَّنَتْ مِن جملتَيْنِ، هما جملة الشَّرطِ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، وجملةُ الجوابِ: ﴿نُقَيِّضْ

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 357.

لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾، ثم تولَّدت مِن جملةِ الجوابِ جملةٌ هي مِن تمامِها، وهي: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾، وأسلوبُ الشَّرْطِ يتناسَبُ معَ سياقِ التَّهديدِ والتَّرهيبِ والغضبِ الشَّديدِ، بترتيبِ تسخيرِ الشَّيطانِ لهذا العاشي عن ذِكْرِ الرَّحمن، وتسبُّبِه عن العَشاء عن ذلك الذِّكْر، بما في هذا الأسلوب مِن نغمة الحَسْمِ والفَصْلِ والقَطْعِ، الحاصلةِ بترتيبِ شيءٍ على شيء، وتسبُّبِ شيءٍ عن شيء، في وضوحٍ وجلاءٍ في النَّظْمِ.

علَّة التَّعبير بالعشا:

في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: وصَف القرآنُ حالَ أهلِ الكفرِ - الَّذين حكَموا عليه بالباطل بأنَّه سِحْرٌ - بالعَشا، وهو أنَّ كلَّ واحدٍ منهم نظَر إلى القرآنِ نظَرَ الأعشَى، وهو مَن ساء بصَرُه باللَّيل أو النَّهارِ، وليس بأعشى، فهو ينظُر في الكتابِ العربيِّ الحكيمِ بضَعْفِ بصَرٍ، وليس كنَظَرِ ضعيفِ البَصَرِ، فمَثَّلَ القرآنُ عدمَ نظرِه في القرآنِ ببصيرتِه بنظَرِ الأعْشَى إلى الشَّيءِ المحسوسِ الظّاهرِ للبَصَر، على سبيلِ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ التَّبعيَّةِ في الفِعْلِ: ﴿يَعۡشُ﴾، فقد صَوَّرَ القرآنُ غفلةَ بصيرته بالعَشا الَّذي هو ضَعْفُ البَصَر؛ تصويرًا لمَن ينسَى ذِكْرَ اللهِ بأقبحِ صورةٍ؛ تنفيرًا مِن ذلك، وذلكَ الحالُ والوصفُ مُؤسَّسٌ على عظيمِ اشتغالِهم بطلبِ الدُّنْيا، وتعظيمِهم لها؛ حتّى إنَّهم جعلوها المقياسَ لعظمةِ بشرٍ يُمكن أن يَنْزِل عليه وحْيُ اللهِ، فقالوا: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ٣١﴾ [الزخرف: 31][1].

العاشون عن ذِكْر الله منقطعو الصِّلةِ تمامًا بالله ربِّهم

معنى: ﴿عَن﴾، ودلالة التَّعبير بها:

كلمةُ ﴿عَن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: حرفٌ معنًى معناه المُجاوَزةُ، وعُدِّيَ الفِعْلُ: ﴿يَعۡشُ﴾ بها؛ لذلكَ لأنَّ في العَشا

الحرفُ الَّذي يتعدَّى به الفِعْلُ مِن تمامِه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 208، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 357.

إعراضًا عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ، ويُستعمل هذا الحرفُ في هذا المعنى؛ إذا كانَ المُتعلَّقُ بالفِعْلِ متروكًا، نحوُ: رغِبْتُ عنِ اللهوِ، ومِلْتُ عن الجدالِ المذمومِ؛ ولذلك كان يُعدَّى به فعلُ الصَّدِّ والإعراضِ ونحوُهما، فكأنَّ هذا الحرفَ يوضِّحُ معنى الفِعْلِ، ويُكمِّلُه، فإنَّ المُحدَّثَ عنه قد تجاوزَتْ بصيرتُه القرآنَ العربيَّ العظيمَ، فلم تقِفْ عنده بالتَّأمُّلِ والتَّدبُّرِ، وعلى هذا فقد ضُمِّنَ الفعل ﴿يَعْشُ﴾ معنى الإعراضِ عن ذِكْرِ الرَّحمن، وإلّا فإنَّ حقَّه أن يُعدَّى بـ: (إلى) كما قال الحطيئة:

متى تأتِهِ تعشو إلى ضوءِ نارِه***تجد خيرَ نارٍ عندَها خيرَ موقدِ

ولا يُقال: (عشوت عن النّار) إلّا بمِثل التَّضمين الَّذي في هاته الآيةِ، ففي: ﴿عَن﴾ تصوير الزّيادة في الإهمال، والزِّيادةِ في موجِباتِ الغَضَبِ[1].

عِلَّةُ التَّعبير بالذِّكْرِ:

في القرآنِ مُتْعةٌ روحيَّةٌ ونَفْسِيَّةٌ وقلبيَّةٌ لا تعدلُها متعة نعيم الدُّنْيا

المرادُ بالذِّكْرِ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ هو القرآنُ الكريمُ؛ بقرينة قولهم في القرآنِ، والذي جاءهم بالقرآن في سياقِ السِّباقِ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 30 - 31]، وذكَر بعضُ العلماءِ أنَّ مِن فوائدِ التَّعبير بالذِّكر عنه أنَّه يرجِعُ بهذه الآية إلى قوله تعالى في مطلع السّورة: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾ [الزخرف: 5][2].

عِلَّة التَّعبير بـ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾:

هذا الاسمُ هنا لهُ موقعٌ بالِغُ السَّدادِ

اصطفَى القرآنُ الاسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ تذكيرًا بآلائه تعالى عليهم، فهذا العبدُ الأعمى أو

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 209، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 360.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 209، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 357.

المُتعامِي مغمورٌ برحمة الرَّحْمن، ويعيش في نعمه، وفي كنَف رحمته، وهو صادٌّ عنه، معرض عن آياته، وإشارةً إلى أنَّ هذا الكتابَ كلَّه رحمةٌ لهم، والعاشون عنه عاشون عن كونه ذِكْرَ الرَّحْمن، فقد جهلوا، وعموا عن ذلكَ، وتمهيدًا لبيانِ شدَّة الغضب في قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾؛ لأنَّه دالٌّ على شدَّة الغضب، والَّذي يدلُّ على شناعة هذا الجُرْم المُفْضِي به إلى تسخير الشَّيطان له أنَّ هذا الجُرْمَ استخرَج هذا الغضب المُتناهِيَ مِن الرَّحيم الرَّحْمن[1].

دلالةُ الإضافةِ في: ﴿ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾:

مَن عشا عن ذِكْر الرَّحمن؛ أسرف في الكُفْر

أضاف القرآنُ الذِّكْرَ الَّذي هو بمعنى القرآنِ إلى الاسم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، ويجوزُ أن تكونَ هذه الإضافة مِن إضافة المصدر إلى المفعولِ، أي: ومَن يعشُ عن أن يذْكُر الرَّحْمن، وأنْ تكونَ مِن إضافة المصدرِ إلى الفاعل، أي: عن تذكيرِ الرَّحْمن عبادَه سبحانه، وإنَّما أضافَ القرآنُ الذِّكْر إلى ذلك الاسم الجليلِ؛ لتشريفِ ذلك الذِّكْرِ، وللإيذانِ بنزولِه رحمةً للعالمين[2]، وإشارةً إلى كمال ظهورِ رحمانيَّته تعالى في كلامِه، فإنَّ الإضافة تكونُ لأدنى مُلابَسة، ووراء هذا مِن المعنى إنكارٌ عليهم أن يكفروا بكتابٍ كلُّه رحمةٌ إلهيَّةٌ، وذمٌّ لهم، وتشنيعٌ عليهم.

علَّة التَّعبير بالتَّقْييضِ:

هـذا الجـزاءُ مناسبٌ على جهة التَّمام للذَّنْبِ في جملة الشَّرْط

عَبَّر القرآنُ بالتَّقْييضِ في قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ نظَرًا إلى التَّعبير عن القرآنِ بالذِّكْر، فإنَّهم لَمَّا انصَرَفوا عن ما شأنُه أن يشغلَهُم بكليَّتِهم، فلا يكون منهم إلّا مُلازَمتُه وديمومةُ الرُّجوعِ إليه؛ عومِلوا بجنس عملهم، فهيَّأ اللّه لهم ما يُلازِمونه؛ عقابًا لهم، وهو الشَّيطانُ الَّذي سيكونُ قرينًا لكلٍّ منهم، فإنَّ التَّقْييضَ هو:

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 360.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 87، والآلوسي، روح المعاني: 25/ 80، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 209.

"الإتاحةُ وتهيئة شيء لملازمة شيء؛ لعملٍ حتّى يُتمَّه، وهو مشتقٌّ مِن اسْمِ جامدٍ، وهو قيض البيضة، أي: القِشْرُ المحيطُ بما في داخل البيضة مِن المح؛ لأنَّ القيض يُلازم البيضة، فلا يُفارقها حتّى يخرجَ منها الفرخ، فيتمَّ ما أتيح له القيض، فصيغةُ التَّفْعيل للجَعْلِ ... وأصلُه هنا تشبيهٌ، أي: نجعلُه كالقيض لهُ، ثمَّ شاعَ حتّى صارَ معنًى مستقلًّا"[1]، ويُقال: قيَّضَ اللّٰهُ فلانًا لفلانٍ: جاءَه به، وأتاحَه له، وقيَّضَ اللّٰهُ لهُ قرينًا: هيَّأَهُ، وسبَّبَه مِن حيثُ لا يَحْتسِبُه، ويُستعملُ قيَّضَ في الخيرِ والشَّرِّ[2]، فكان تفسيرُ ﴿نُقَيِّضْ﴾ بـ: نُسخِّر، أو نُهيِّئ، أو نُتِحْ، ونحوِ ذلكَ، تفسيرًا يُقرِّبُ المعنى، وليس حقيقته؛ لأنَّ حقيقته أنَّ هذا الشَّيطانَ صار مُحيطًا به، ومستوليًا عليه، وسادًّا كلَّ المنافذ الواصلة إليه، كالقيض المحيط بالبيض والحافظِ له؛ كذلكَ الشَّيطانُ يحفظُه، ويَحوطُه، ويمنعُه مِن كلِّ ما ليس بشيطانيٍّ، وهذا الجزاءُ هو المناسبُ لـ: ﴿يَعْشُ﴾؛ لأنَّه عصَبَ عينيه، وسَدَّ أُذُنيه، وصار حجابًا بينَه وبينَ الذِّكر، وهذا معناه أنَّه هو الَّذي صيَّرَ نفْسَه في قبضة الشَّيْطان، وصيَّر الشَّيْطان مُضيِّقًا عليه، ومحيطًا به إحاطةَ القيضِ بالبيضِ، يعني: دخَل في سرداب شيطانيٍّ مغلَق مِن جميعِ جهاتِه[3].

دلالةُ المضارعة في الفعل ﴿نُقَيِّضْ﴾:

المضارعة تبرز الجزاء

نظَم القرآنُ معنى التَّقْييض فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ دلالةً على شدَّة الغضب، وسوء الجزاء والعقاب، فكلَّما تجدَّدَ من هؤلاء المشركين صدٌّ عن آيات اللّٰه، وإعراضٌ عن الذِّكر؛ تجدَّدَ لهم تقييض الشَّيطانِ، فازدادوا بُعدًا وضلالًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 209.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والراغب، المفردات: (قيض).
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 361.

توجيهُ القراءات القرآنيَّةِ في: ﴿نُقَيِّضْ﴾ وبلاغتها:

دلالة الحضور والغيبة في إثراء المعاني القرآنية

قَرَأ يَعْقوبُ وشعبة بخلفه بالياءِ: ﴿يُقَيِّضْ﴾، وقرأ الباقون بالنون[1]، فحجّة من قرأ بالياء أنه أراد إبهام الفاعل (هو) العائد على اسم الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، والتقدير: (ومن يعش عن ذكر الرحمن يقيِّض له الرحمن شيطانًا)، فاكتفى بالتصريح الأول، وحجة من قرأ بنون العظمة أن الفاعل هو الله جلَّ في علاه، وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب تخويفًا لهذا الذي أعرض عن ذكر ربه.

دلالة اللّام في: ﴿لَهُۥ﴾:

لكلِّ معرض عن ذكر الله تعالى شيطانٌ مخصوصٌ

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ﴾ في موضعيه في الآية: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾: معناها الاختصاصُ، فتكون تمهيدًا للقَصْرِ الحاصلِ بتقديم: ﴿لَهُۥ﴾ على ما بعدَه: ﴿شَيۡطَٰنٗا﴾، ﴿قَرِينٞ﴾؛ وذلك إبلاغٌ في إثباتِ التَّقْييضِ والاقترانِ المخصوصَيْنِ الخاصَّيْنِ بكلِّ فردٍ مِن أفرادِ العاشِينَ عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ.

نكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرور ﴿لَهُۥ﴾:

حالُ هذا العاشي عن ذِكْرِ الرَّحمنِ جِدُّ عجيبٍ

قدَّم القرآنُ الجارَّ والمجرورَ المُتعلِّقَ ﴿لَهُۥ﴾، في قوله: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾، وكذلكَ في قوله: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾؛ للعناية والاهتمام ببيان حال العاشي والمعرض عن ذِكر الله تعالى؛ لأنَّه المُحَدَّثُ عنهُ في الكلامِ؛ إشارةً إلى استحقاقِه ذلكَ الجزاءَ، فهو الَّذي أقْبَلَ على سببِه، ورغِبَ فيه، وتعمَّدَه، فما كانَ منهُ هوَ مُقدِّمةُ هذه النَّتيجةِ الَّتي هيَ الجزاءُ مِن الشَّيْطانِ القرينِ، وذكَر الشَّيخ أبو موسى أنَّ التَّقديم في الموضع الثّاني يفيد أنَّ القرينَ خاصٌّ به، وليس له شاغِلٌ سواهُ[2]، والتَّقديمُ بهذا توطئةٌ لقوله: ﴿قَرِينٞ﴾، وتمكينٌ لمعناه، ولمجيء الفاء، ولا مانع مِن حَمْلِ التَّقديم في الموضع الأوَّلِ عليه أيضًا، ونتَج

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 369.

(2) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 362.

عن التَّقديم في الموضع الثّاني توفُّرُ الانسجام الصَّوتيِّ بينَ الكلمةِ المُؤخَّرةِ وبينَ مِثْلِها مِن الفواصلِ قبلَها: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿يَتَّكِـُٔونَ﴾، ﴿يَظْهَرُونَ ۝٣٣﴾ [الزخرف: 33]، ﴿يَجْمَعُونَ ۝٣٢﴾ [الزخرف: 32] إلخ، والفواصلِ بعدَها: ﴿مُّهْتَدُونَ﴾، ﴿ٱلْقَرِينُ﴾، ﴿مُشْتَرِكُونَ﴾، ﴿مُّبِينٍ﴾ إلخ.

علَّة التَّعبيرِ بالشَّيْطانِ:

رفْضَ الكافرُ صُحْبةَ كلام الرَّحمن، فعوقِب بُصحْبةِ الشَّيْطان

لَمّا كان المُحدَّثُ عنه قد عشا عن ذِكْرِ الرَّحْمنِ؛ فجهِل، أو تجاهَل رحيميَّتَه ورحمانيَّتَه تعالى في قرآنِه، وفي معاملة اللّه إيّاه؛ بإمطارِ نعمه عليه وإحاطته بها ليلَ نهارٍ؛ غضِب اللّه عليه، وقيَّضَ له شخصًا ناريًّا بعيدًا مِن الرَّحمة، يكونُ غالبًا مُحيطًا به، مُضيِّقًا عليه؛ فلهذا عبَّر القرآنُ بقوله تعالى: ﴿شَيْطَانًا﴾[1]، وهذا الشَّيْطانَ يُسبِّبُ لهذا العاشِي عن ذِكْر الرَّحْمن تَعَبًا وضِيقًا نفْسِيًّا يُعكِّرُ عليه صَفْوَ حياتِه وملَذّاتِه الَّتي هو مُفتتِنٌ بها افتتانًا عظيمًا حتّى جعَلها مقياس عظمة الرِّجال في الحياة الدُّنْيا.

سِرُّ تنْكير ﴿شَيْطَانًا﴾:

شيطانُ هذا العاشِي عجيبٌ غريبٌ في بابِه

نظَم القرآنُ مفعولَ التَّقْييض: ﴿شَيْطَانًا﴾ نكرةً؛ للدَّلالةِ على تهويل شأنِه وحالِه معَ العاشِي، بقرينة سياقِ الغضَبِ الإلهيِّ الدّالِّ عليه أنَّ الَّذي يُقيِّضُ لهذا العاشي شيطانًا قرينًا هو الرَّحمنُ الَّذي وسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء؛ فإنَّ هذا العاشِيَ قد ارتكَب أبشع ما يرتكبُه إنسانٌ، وهو عدمُ النَّظَرِ في القرآنِ نظَرَ المُتدبِّرِ الباحثِ عن الحقِّ، فهو بذلك مُنْصرِفٌ عن رحمةِ اللّه، رافضٌ لها.

سِرُّ حذفِ المُتعلَّق:

العشا عن ذِكْر الرَّحمن ضلالٌ، وصحبة الشَّيطان تزيدُه

في قوله تعالى: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَانًا﴾: لم يذكر القرآنُ متعلَّق الفعل: ﴿نُقَيِّضْ﴾؛ اكتفاءً بدلالة مفعولِه، وهو: ﴿شَيْطَانًا﴾؛ فعُلِم منه أنَّه مُقَيَّضٌ لإضْلالِه، أي: هم أعْرضوا عن القرآن؛ لوسوسة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/ 28.

الشَّيْطانِ لهُم[1]، فسِرُّ الإيجاز بالحذفِ كمالُ العلم بالمحذوفِ، وأيضًا: المبالغة في الدَّلالة على إضلال الشَّيطان؛ لأنَّ ما يكون مِن الشَّيطان تُجاه هذا العاشي عن ذِكْر الرَّحْمنِ ليس مجرَّدَ إضلالٍ، بل هو غاية الضَّلال والإضلال.

معنى الفاء، ودلالة التَّعبير بها:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾: رتَّبتْ ما بعدها على ما قبلها، والَّذي قبلَها هو أنَّ الشَّيطان أحاط بهم إحاطةَ القيض بالبيض، وما بعدَها؛ أفاد أنَّه لمّا صارَ في هذا القُمْقُم لازمَهُ فيه، وقارَنَه، يَنْفُثُ فيه كلَّ معنًى شيطانيٍّ، ودامَ الحالُ على ذلكَ، واستمرَّ، ويُفْهِمُ التَّفريع بالفاء أنَّ التَّقييضَ كان لأجل مقارنته[2]، ولو قال القرآنُ: (هو له قرين)؛ لكان صوابًا في البلاغة؛ لأنَّه يلزمُ قولَه: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾؛ ولكنَّ القرآنَ كشَف بالفاءِ عن كمالِ التَّلازُمِ والصُّحْبةِ بينَ العاشِي عن ذِكْرِ اللهِ والشَّيطانِ قرينِه؛ فإنَّ هذا العاشِيَ يكونُ في غايةِ الضَّلالِ، وكفَى بذلك دليلًا على شدَّة غضبِ اللهِ الرَّحْمنِ عليه.

في قوله (قرين) جديدٌ مِن المعنَى قد استَدعَى الفاءَ

علَّة التَّعبير بـ: ﴿قَرِينٌ﴾:

اقتَضَى جزاء الرَّحْمنِ أنْ يكونَ الشَّيطانُ قرينًا؛ لهذا العاشِي عن ذِكْرِ اللهِ، ودلالةُ هذه الكلمة: ﴿قَرِينٌ﴾ على الاقتران والاقتراب، تجعلُها تنظرُ إلى التَّعبير عن القرآن بالذِّكْر، الَّذي الأصلُ أن يجذبَهُم، فينجذبوا له، ولها دلالة أخرى أدلُّ على شدَّة الغضبِ، وهي أنَّ الَّذي يعشو عن ذِكْر الرَّحْمن، ويُقيِّضُ اللهُ لهُ هذا الشَّيْطانَ، يصيرُ هو الآخَرُ قرينًا للشَّيطان؛ فكلٌّ منهما قرينٌ للآخَرِ، وكأنَّه مِن جنسِه، يعني: يصيرُ هذا الآدميُّ شيطانًا[3].

غايةُ الاندماج بينَ العاشي والشَّيطان تُصوِّرُ عظيم جرمه وكفره

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 210.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 210، ومحمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 361.

(3) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 362.

سِرُّ تنكيرِ ﴿قَرِينٌ﴾:

أيُّ ضلالٍ يكونُ فيه الشَّيطانُ حتَّى يجعلَ العاشِيَ مِثْلَه فيه

نظَم القرآنُ خبَر الشَّيطانِ نكرةً في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾؛ دلالةً على تهويل شأنه وتفخيمه، فإنَّه يُصَيِّرُ هذا العاشِيَ عن ذِكْر الرَّحْمنِ شيطانًا مِثْلَه، فالضَّلالُ الَّذي يكونُ فيه هذا العاشِي؛ بسببِ الشَّيْطانِ جِدُّ عظيم، ويجوزُ أن يكون التَّنكيرُ للدَّلالة على النَّوعيَّةِ، أي: هو نوعٌ مِن القرناء مخصوصٌ، فهو عجيبٌ غريبٌ جدًّا؛ لأنَّه يُصَيِّرُ قرينَه الإنسيَّ شيطانًا مِثْلَه في الضَّلالِ، فالمآلُ واحدٌ، وقال بعض العلماء: التَّنكيرُ في: ﴿شَيْطَٰنًا﴾، و: ﴿قَرِينٌ﴾ يدلُّ "على أنَّه شيطانٌ مُختلِفٌ في شيطنتِه، ومُتميِّزٌ في عداوتِه وصدِّه"[1].

دلالةُ التَّعبير بالجملة الاسميَّةِ:

الاسميَّةُ تمكينٌ وتحقيقٌ لمعنى الجملة

نظَم القرآنُ معنَى الجملة المُفرَّعةِ بالفاء على جملة جوابِ الشَّرْطِ اسميَّةً، معَ أنَّ جملةَ الجوابِ فعليَّةٌ، فقال تعالى: ﴿فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾؛ للدَّلالةِ على دوامِ كونه قرينًا له، أي: فكانَ قرينًا مقارنةً ثابتةً دائمةً؛ ولذلك لم يقل: نقيِّض له شيطانًا قرينًا له[2].

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى - الزخرف - الدخان: دراسة في أسرار البيان، ص: 366.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 210.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"